بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين، وبعد:

فلا يخفى على أحدٍ أنَّ ديننَا الإسلامي هو دين الرحمة، جاء به نبيٌّ اتصف بالرحمة، ولم يكن رحمةً لأهله فقط، أو لأمته التي أُرسل إليها؛ بل كان رحمةً للعالمين، كلِّ العالمين، مصداقًا لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وهذا النبي هو محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، جاء بهذا الدين من عند الله تعالى الرحمن الرحيم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ**». رواه البخاري.

وعليه أضحت الرحمةُ دستورَ التشريع الإسلامي الذي قدَّمها على ما سواها، فقَدَّم الرفقَ والرحمةَ على الغضب والشدة، فخلا المجتمع الإسلامي في عصر النبوة من أمراض الكراهية والحقد والتقاتل، وعلت فيه قيم الإيثار والتراحم والتواد والإخاء.

ولقد كان من إجلال هذا الدين للرحمة أن يقرن الله تعالى المغفرة بتحقيقها؛ فغفر لبغي من بني إسرائيل تحرك قلبها بالرحمة تجاه كلب يلهث من العطش سقته وروت ظمأه، قال رسول الله ﷺ: «**بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَسَقَتْهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ**». رواه البخاري.

فقلْبُ المرءِ إذا امتلأ بالرحمة انعكس ذلك على كل أفعاله وأقواله، وتحولت هذه الأفعال والأقوال إلى عوامل بناء وتآلف في المجتمع. أما إذا نزعت الرحمة من هذا القلب وامتلأ بالقسوة والكراهية، فإنه يُورد صاحبه المهالك، ولا يقف الأمر عنده؛ بل تفشو هذه القسوة في المجتمع فتصيب الإنسان والشجر والحيوان.

فغياب الرحمة عن قلب المرء يكون سببًا لعذابه؛ قال رسول الله ﷺ: «**دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ**

رَبَطَتْهَا؛ فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ)) رواه البخاري.

هكذا الإسلام جعل في الرحمة تحقيق تآلف الأمة، وتعاطفها، ليس بين الإنسان والإنسان فقط، بل تتجاوز الإنسان باختلاف لونه وجنسه ودينه إلى الدواب والأنعام والشجر.

فالرحمة هي أساس استقرار المجتمعات ورقيها، وهي التي تجعل من الأمة الواحدة أمة مترابطة متحابة كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وهي التي يكون من ثمارها استقرار الأوطان وتقدمها، فإذا ما هجرت قلب المرء، واستبدل بها قسوة وكراهية وعنفًا وحقدًا تحول التواد والتراحم إلى اقتتال ودمار، ورأيت الواحد لا يترك طريقًا في هلكة أخيه إلَّا سار فيه، وينفق الجهد والمال ليريق دماء الآمنين.

تلك الآفة البغيضة التي تنشر الكراهية والعنف والقسوة هادمة للإنسان والأوطان، أصحابها قلوبهم كالصخر الأصم، بل هي أشد قسوة من تلك الجمادات التي تتفجر منها الأنهار التي تروي ظمأ الإنسان، وتنبت العشب والشجر فيأكل منه الإنسان والحيوان، وإن منها لما يسجد من خشية الله.

هكذا الرحمة إذا غابت عن قلب امرئ تحول إلى شيء أشبه بالجماد لا حسَّ فيه ولا حياة، تتصلب مشاعره، ولا يملك فكرًا، وإن فَكَّر أهلكَ نفسه وغيره.

إن أولئك الذين استبدلوا بالرحمة القسوة والكراهية والعنف لا يدركون أنهم يهدمون أنفسهم ويهدمون الإنسان والبنيان، وإن مجتمعًا تشيع فيه روح العداء والكراهية والعنف والقتل لا ينهض، وإنَّ قلبًا أُشرِب بهذه الآفات لهو عدو للعلم والعلماء، وعدو للعمال والصناع والحراس وغيرهم ممن يُفنون أعمارهم لعمارة الأرض وتزكية النفس.

لا بد من إشاعة الرحمة لكي يصفو المجتمع ويتقدم، ويعدل أصحاب الأفكار المنحرفة والهدامة عن جرائمهم، وتنتشر بين الناس قيم الرأفة والمودة والمحبة.

وإذا ما تحققت في مجتمع يستطيع العلماء أن يقدموا ما ينفع الأمة، وما ينفي عنها خَبَثَهَا، وأن يَثْنِي أهل الباطل عن طريق الغي، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

ونطالع في هذا العدد الجديد من مجلة دار الإفتاء المصرية الذي يحمل الرقم الخامس والعشرين من المجلة أبحاثًا متميزة: أولها بحث: بعنوان: فِعْلُ الرسولِ ﷺ وأثرُهُ في التشريع، والبحث الثاني بعنوان: الاجتهاد بين الخطأ والصواب مرتكزات وآثار، والبحث الثالث بعنوان: الأحوال التي يجوز فيها للزوجة طلب الخلع دراسة فقهية مقارنة مع استجلاء ما عليه القانون الوضعي، والرابع بعنوان: أصول اعتبار العرف عند الشافعية من خلال أحكام المعاملات في كتاب نهاية المطلب.

أسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل أثرًا صالحًا، وأن يكون قبلة لأهل العلم والعلماء، والله من وراء القصد يقول الحق وهو يهدي السبيل

الأستاذ الدكتور/ أسامة محمد العبد
رئيس لجنة الشؤون الدينية والأوقاف
بمجلس النواب المصري
رئيس جامعة الأزهر الأسبق
عضو مجمع البحوث الإسلامية
عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية